

سورة البقرة

٥ - قوله تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾ كرر في أوائل ست سور. وزاد في الأعراف «١» صاداً ﴿المص﴾ لقوله بعده ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه...﴾ الآية.

وفى الرعد «١» راء ﴿المر﴾ لقوله بعده ﴿الله الذى رفع السموات...﴾ الآية. واعلم أن حرف الهجاء فى أوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وهى سر القرآن وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها. وقيل: هى معلومات المعانى، وعليه:

ف قيل: كل حرف منها أول اسم من أسماء الله. فالألف من «الله» واللام من «اللطيف» والميم من «المجيد» والصاد من «صادق» والراء من «رؤوف». وقيل: هى أقسام أقسم الله بها لشرفها.

وقيل: غير ذلك وأن تسميتها حروفاً مجازاً، وإنما هى أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة.. وعليه:

ف قيل: معربة وقيل: مبنية وقيل: لا، ولا وقد بينت ذلك فى غير هذا الكتاب.

٦ - قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿١﴾﴾ (أى لا شك فيه: فإن قلت: كيف نفى الريب وكم ضال ارتاب فيه؟ قلت: المراد أنه ليس محلاً للريب أو لا ريب فيه عند الله ورسوله، والمؤمنين، أو ذلك نفى بمعنى النهى أى لا ترتابوا فيه لأنه من عند الله، ونظيره قوله تعالى ﴿إن الساعة آتية لا ريب فيها...﴾.

٥ - راجع كشف الزمخشري ٧٦/١، والبرهان فى توجيه متشابه القرآن للكرماني مسألة رقم ٥ بتحقيق السيد الجميلي.

فإن قلت: كيف قال: ﴿هَدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وفيه تحصيل الحاصل، لأن المتقين مهتدون؟

قلت: إنما صاروا متقين باستفادتهم الهدى من الكتاب أو المراد بالهدى الثبات والدوام عليه أو أراد الفريقين واقتصر على المتقين، لأنهم الفائزون بمنافع الكتاب، وللإيجاز كما في قوله تعالى ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾.

٧ - قوله تعالى: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي يعلمون. واليقين: العلم بعد أن لم يكن، ولهذا لا يقال لعلم الله يقين.

٨ - قوله تعالى: ﴿أَوَّلِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

فإن قلت: لم ذكر ذلك مع قوله قبل ﴿هَدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾؟

قلت: لأنه ذكر هنا مع «هدى» فاعله بخلاف ثم.

٩ - قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾.

فإن قلت: لم حذف الواو هنا، وأثبتت في «يس»؟

قلت: لأن ما هنا جملة هي خبر عن اسم «ان» وما هناك جملة عطفت على أخرى.

فإن قلت: ما فائدة بعثة الرسل بعد قوله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية.

قلت: لثلاث يكون للناس حجة، أو لأن الآية نزلت في قوم «لا يؤمنون» ولو جاءتهم كل آية فبعثة الرسل انتفع بها آخرون فأمنوا.

١٠ - قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

إن قلت: كيف قاله مع أن المخادعة إنما تتصور في حق من تخفى عليه

الأمور، لئتم الخداع من حيث لا يعلم، ولا يخفى على الله شيء؟

قلت: المراد يخادعون رسول الله إذ معاملة الله معاملة رسوله كعكسه

لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ وقوله ﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ أو سمي نفاقهم خداعاً لشبهه * بفعل المخادع.

(*) في الأصل المخطوط «لشبهة» وهو تحريف من الناسخ.

١١ - قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ (١٢).

إن قلت: كيف خص الفساد بالمناققين مع أن غيرهم مفسد؟

قلت: المراد بالفساد الفساد بالنفاق، وهم كانوا مختصين به.

١٢ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَمْتَحِزُّ بِهِمْ﴾ (١٥).

إن قلت: الاستهزاء من باب العبث والمخزية، وذلك قبيح على الله

تعالى ومنزه عنه؟

قلت: سمى جزاء الاستهزاء استهزاء مشاكلة كقوله «جزاء سيئة سيئة

مثلها» والمعنى: أن الله يجازيهم جزاء استهزائهم.

١٣ - قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (١٩).

إن قلت: ما فائدة قوله «من السماء» مع أن الصيب لا يكون إلا منها؟

قلت: فائدته أنه عرف السماء، وأضاف الصيب إليها ليدل على أنه من

جميع آفاق السماء، لا من أفق واحد، إذ كل أفق يسمى سماء ونظير ذلك

قوله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض﴾.

١٤ - قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ...﴾ (١٩).

عبر بالأصابع عن أناملها والمراد بعضها لأنهم إنما جعلوا بعض أناملها.

١٥ - قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢).

أى أنه لا أنداد له.

فإن قلت: المشركون لم يكونوا عالمين بذلك، بل كانوا يعتقدون أن له

أنداداً؟

قلت: المراد وأنتم تعلمون أن الأنداد لا تقدر على شيء مما مر قبل ذلك،

أو وأنتم تعلمون أنهم ليس في التوراة والإنجيل جواز اتخاذ الأنداد.

١٦ - قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ (٢٣).

إن قلت: لم ذكرت «من» هنا، وحذفت في سورتي «يونس» و«هود»؟

قلت: لأن «من» هنا للتبعيض أو للتبيين أو زائدة على قول الأخفش،
بتقدير رجوع الضمير فى «مثله» إلى «ما» فى قوله: «مما نزلنا» وهو الأوجه.
والمعنى على الأخير: فأتوا بسورة ماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم،
وعلى الأولين: فأتوا بسورة مما هو على صفته فى البلاغة وحسن النظم،
وحينئذ فكأنه منه، فحسن الإتيان بـ «من» الدالة على ما ذكر بخلاف ذاك،
فإنه قد وصف السور بالافتراء صريحا فى «هود» وإشارة فى «يونس» فلم
يحسن الإتيان بـ «من» الدالة على ما ذكر، لأنها حينئذ تشعر بأن ما بعدها
من جنس ما قبلها؛ فيلزم أن يكون قرآنا وهو محال.

ويجوز جعل «من» للابتداء، بتقدير رجوع الضمير فى «مثله» إلى عبدنا
أى «محمد» والمعنى: فأتوا بسورة مبتداه من شخص مثل محمد.

١٧ - قوله تعالى: ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أى من غيره، وهو بهذا المعنى فى جميع ما جاء منه فى القرآن. وقد
يستعمل بمعنى «قبل» كقولهم: المدينة دون مكة، ولا أقوم من مجلى دون
أن تجىء، ولا أفارقك دون أن تعطينى حقى.

١٨ - قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾.

إن قلت: كيف عرف النار هنا، ونكرها فى التحريم؟

قلت: لأن الخطاب فى هذه مع المنافقين، وهم فى أسفل النار المحيطة بهم،
فعرفت بلام الاستغراق أو العهد الذهنى وفى تلك مع المؤمنين والذى يعذب من
عصاتهم بالنار، يكون فى جزء من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقليلها.

وقيل: لأن تلك الآية نزلت قبل هذه بمكة، فلم تكن النار التى وقودها
الناس والحجارة معروفة فنكرها ثم، وهذه نزلت بالمدينة فعرفت إشارة إلى ما
عرفوه أولاً. ورد هذا بأن «آية التحريم» نزلت بالمدينة بعد الآية هنا.

١٩ - قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ

جَنَّاتٍ...﴾.

إن قلت: كيف شرط فى دخول المؤمن الجنة العمل الصالح مع أن مجرد الإيمان كاف فى دخولها؟

قلت: المراد بالعمل الصالح: الإخلاص فى الإيمان أو الثبات عليه إلى الموت أو المراد بدخول الجنة دخولها مع الفائزين.

٢٠ - قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (٣٠).

أى قومًا يخلف بعضهم بعضا. أو «آدم» بمعنى خليفة عنى بأمرى. أو خليفة عن ملائكتى أو عن الجن.

٢١ - قوله تعالى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ..﴾ (٣٤) أى تكربة لا عبادة.

٢٢ - ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا..﴾ (٣٥).

إن قلت: لم قال هنا «وكلا» بالواو، وفى الأعراف «فكلا» بالفاء؟

قلت: لأن «اسكن» هنا معناه استقر، لكون «آدم» و«حواء» كانا فى الجنة، والأكل يجمع الاستقرار غالبًا، فلهذا عطف الواو الدالة على الجمع. والمعنى: اجمعا بين الاستقرار والأكل. وفى الأعراف: معناه ادخل لكونهما كانا خارجين عنها، والأكل لا يكون مع الدخول عادة بل عقبه، فلهذا عطف بالفاء الدالة على التعقيب.. وقد بسطت الكلام على ذلك فى الفتاوى.

٢٣ - قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا..﴾ (٣٨).

كرر الأمر بالهبوط للتوكيد. أو لأن الهبوط الأول من الجنة والثانى من السماء. أو لأن الأول إلى دار الدنيا يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى إليها للتكليف فمن اهتدى نجا، ومن ضل هلك.

٢٤ - قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ..﴾ (٣٨) وفى «طه» ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ

هُدَايَ..﴾.

٢١ - انظر البرهان ١٠.

٢٢ - انظر فتاوى الإمام النووى مسألة رقم ٢٢ والبرهان ١١.

٢٣ - انظر البرهان مسألة رقم ١٢.

٢٤ - البرهان ١٣.

إن قلت: لم عبر هنا بـ «تبع» وثم بـ «اتبع» مع أنهما بمعنى؟
قلت: جرياً على الأصل هنا، وموافقة لقوله ﴿يَوْمئذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ ثم
طه «١٢٣» ولأن القضية لما بنيت من أول الأمر على التأكيد بقوله تعالى:
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ﴾ ناسب اختصاصها بالزيادة المفيدة للتأكيد.
٢٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ...﴾ ﴿٤٢﴾.

إن قلت: لا تغاير بينهما فكيف عطف أحدهما على الآخر؟
قلت: بل هما متغايران لفظاً كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ...﴾ ﴿١٥٧﴾ أو لفظاً ومعنى، لأن المراد بلبسهم الحق بالباطل
كتابتهم في التوراة ما ليس فيها، وبكتمانهم الحق قولهم: لا نجد في التوراة
صفة محمد.

٢٦ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾ ﴿٤٦﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكر الثاني مع أن ما قبله يغني عنه؟
قلت: لا يغني عنه، لأن المراد بالأول: أنهم ملاقو ثواب ربهم، على
الصبر والصلاة.

وبالثاني: أنهم موقنون بالبعث وبحصول الثواب على ما ذكر.
٢٧ - قوله تعالى: ﴿...وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ...﴾ ﴿٤٨﴾.
فإن قلت: ما الحكمة في تقديم الشفاعة هنا، وعكسه فيما يأتي؟
قلت: للإشارة هنا إلى من ميله إلى حب نفسه أشد منه إلى حب المال
وثم إلى من هو بعكس ذلك.

٢٨ - قوله تعالى: ﴿يُذَيِّعُونَ أَبْنَاءَكُمْ...﴾ ﴿٤٩﴾.
فإن قلت: ما الحكمة في ترك العاطف هنا، وذكره في سورة إبراهيم؟

٢٧ - البرهان ١٤ وتفسير الطبري ٣٥/١ والنوى ٢٦ .

٢٨ - انظر النوى ٢٧ والكرمانى فى البرهان ١٥ .

قلت: لأن ما هنا من كلام الله تعالى، فوقع تفسيراً لما قبله. وما هناك من كلام موسى وكان مأموراً بتعداد المحن في قوله: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ فعدد المحن عليهم، فناسب ذكر العاطف.

٢٩ - قوله تعالى: ﴿... وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥٧﴾.

إن قلت: ما الحكمة في ذكر «كانوا» هنا وفي الأعراف وفي حذفها في آل عمران؟

قلت: لأن ما في السورتين إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا فناسب ذكرها وما في «آل عمران» مثل ضربه تعالى لأعمالهم بقوله ﴿مِثْلَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ إلى آخره.

٣٠ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا... ٥٨﴾.

فإن قلت: ما الحكمة في العطف بالفاء هنا، وفي الأعراف بالواو؟ قلت: لأنه عبر هنا بالدخول وهو سريع الانقضاء فلا يناسبه مجامعة الأكل له، وإنما يناسبه تعقيبه له فعطف بالفاء. وغير بالأعراف بالسكون، أي الاستقرار وهو ممتد يجامعه الأكل، فعطف بالواو.

٣١ - قوله تعالى: ﴿... وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا... ٥٨﴾.

إن قلت: لم قدمه على قوله «وقولوا حطة» وعكس في الأعراف؟ قلت: لأنه هنا وقع بياناً لكيفية الدخول المذكور قبله، بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بخلافه ثم.

٣٢ - قوله تعالى: ﴿... وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾.

إن قلت: لم ذكر هنا بالواو وفي الأعراف بدونها؟

قلت: لأن اتصاله هنا أشد لإسناد القول فيه إلى الله تعالى في قوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾ بخلافه ثم، فالأليق به حذف الواو ليكون استثناءً.

٢٩ - البرهان ١٦ .

٣٠ - البرهان ١٧ .

٣٣ - قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ...﴾ (٥٩).

إن قلت: هم لم يبدلوا غير الذى قيل لهم، وإنما بدلوه نفسه؛ لأنهم قيل لهم: قولوا «حطة» فقالوا: حنطة.

قلت: بل بدلوا غير الذى قيل لهم، لأن معناه: فبدل الذين ظلموا قولاً قيل لهم، فقالوا قولاً غير الذى قيل لهم. وزاد فى الأعراف «منهم» موافقة لقوله قبله ﴿ومن قوم موسى﴾ ولقوله بعده ﴿منهم الصالحون ومنهم دون ذلك﴾.

٣٤ - قوله تعالى: ﴿..فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾ (٥٩) عبر بدله فى الأعراف بقوله: ﴿فأرسلنا﴾ أن لفظ «الرسول» و«الرسالة» كثر ثم فناسب التعبير بأرسلنا.

٣٥ - قوله تعالى: ﴿..فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا...﴾ (٦٠) عبر بدله فى الأعراف بقوله ﴿فانجبت﴾ والأول أبلغ لأنه انصباب الماء بكثرة، والانجاس: ظهور الماء، فناسب ذكر «الانفجار» هنا الجمع قبله بين الأكل والشرب الذى هو أبلغ من الاقتصار على الأكل.

٣٦ - قوله تعالى: ﴿..وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ...﴾ (٦٠).

إن قلت: العتو: الفساد فيصير المعنى: ولا تفسدوا فى الأرض مفسدين. قلت: لا محذور فيه غايته أن «مفسدين» حال من فاعل «تعتوا» فهى حال مؤكدة كما فى قوله: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أو حال مؤسسة إذ «العتو» لكونه التمدادى فى الفساد، أخص من الفساد. فالمعنى - كما قال الزمخشري - لا تتمدادوا فى الفساد فى حال فسادكم.

٣٧ - قوله تعالى: ﴿..لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ...﴾ (٦١).

إن قلت: كيف قلوا: ﴿على طعام واحد﴾ وطعامهم كان طعامين: «المن» و«السلوى»؟

٣٣ - البرهان ١٧ والنوى ٢٨ والقرطبي ٤١١/١.

٣٤ - النوى.

قلت: المراد بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل، أو بالطعامين أنهما ضرب واحد، لأنهما من طعام أهل التلذذ والترف أو أنهما كانا يؤكلان مختلطتين.

٣٨ - قوله تعالى: ﴿..وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ..﴾ (٦١).

عرف الحق هنا، ونكره في «آل عمران» و«النساء»؛ لأن ما هنا لكونه وقع أولاً إشارة إلى «الحق» الذى أذن الله أن يقتل النفس به وهو قوله: ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾ فكان التعريف أولى هنا وأريد به «بغير حق» فى معتقدهم ودينهم؛ فكان بالتنكير أولى.

فإن قلت: قتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق، فما فائدة ذلك؟

قلت: فائدته التصريح بصفة فعلهم القبيح، لأنه أبلغ فى الشناعة.

فإن قلت: لم مكن الكافرين من قتل الأنبياء؟

قلت: كرامة لهم، وزيادة فى منازلهم، كمن يقتل فى الجهاد من

المؤمنين.

٣٩ - قوله تعالى: ﴿..وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ..﴾ (٦٢).

فإن قلت: لم قدم النصارى على الصابئين هنا، وعكس فى المائدة والحج؟

قلت: لأن النصارى مقدمون على الصابئين فى الرتبة لأنهم أهل كتاب، فقدموا فى «البقرة» لكونها أولاً. والصابئون مقدمون على النصارى فى الزمن، فقدموا فى «الحج» وروعى فى «المائدة» فقدموا فى اللفظ وأخروا فى المعنى إذ التقدير: والصابئون كذلك كما فى قول الشاعر:

فمن يك أمسى فى المدينة رحله فإنى وقيار بها لغريب

إذ التقدير: فإنى لغريب بها وقيار كذلك.

٤٠ - قوله تعالى: ﴿..فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ..﴾ (٦٥).

فإن قلت: كيف أمروا بذلك مع أنه ليس فى وسعهم؟

قلت: هذا أمر إيجاد، لا أمر إيجاب، كقوله «كن فيكون».

٤١ - قوله تعالى: ﴿.. عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ..﴾ (٦٨).

إن قلت: «بين» تقتضى شيئين فأكثر فكيف دخلت على «ذلك» وهو مفرد؟

قلت: «ذلك» يشار به إلى المفرد والمثنى والمجموع، ومنه قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾. وقوله: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾.

وقوله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين..﴾ ثم قال: ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾. فالمعنى: عوان بين الفارض والبكر.

٤٢ - قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ..﴾ (٧٩).

فإن قلت: ما فائدة ذكر اليد مع أن الكتابة لا تكون إلا بها؟

قلت: فائدته تحقيق مباشرتهم ما حرفوه بأنفسهم زيادة في تقبيح فعلهم.

٤٣ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً..﴾ (٨٠).

إن قلت: لم قال هنا «معدودة» وفي آل عمران «معدودات»؟

قلت: إشارة إلى الجمع بين الأصل والفرع إذ الأصل في الجمع بالألف والتاء إذا كان واحده مذكراً، أن يقتصر في الوصف على تأنيثه مفرداً كقوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ وقد يأتي «سرر مرفوعات» على الجمع فهو فرع عن الأول، فذكر في البقرة على الأصل لكونها أول وفي «آل عمران» على الفرع.

٤٤ - قوله تعالى: ﴿.. ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣).

فإن قلت: التولى والإعراض واحد، فلم جمع بينهما؟

قلت: لا محذور فيه لأن قوله «وأنتم معرضون» حال من فاعل توليتم، فهي حال مؤكدة كما في قوله تعالى: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أو مؤسسة إذ المعنى: ثم وليتم عن الوفاء بالعهد، وأنتم معرضون عن النظر والفكر في عاقبة ذلك.

٤٣ - البرهان ٢١ والنوى ٣٨.

٤٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۖ﴾ .. ﴿٩٥﴾ .

فإن قلت: لم قال هنا «لن» وفي الجمعة «لا»؟
قلت: لأن «لن» أبلغ في النفي من «لا» حتى قيل: إنها لتأييد النفي،
ودعواهم في البقرة بالغة قاطعة، وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص،
فناسب ذكر «لن» فيها.

ودعواهم في «الجمعة» قاصرة مردودة، وهي زعمهم أنهم أولياء الله،
فناسب ذكر «لا» فيها.

٤٦ - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ﴾ .. ﴿٩٦﴾ .

فإن قلت: لم خصوا بالذكر مع دخولهم في الناس في قوله تعالى:
﴿ولتجدنهم احرص الناس على حياة﴾؟ قلت: لشدة حرصهم على الحياة،
لإنكارهم البعث.

٤٧ - قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .. ﴿١٠٠﴾ .

إن قلت: لم قال هنا «لا يؤمنون» وفي غيره «لا يعقلون»، «لا يعلمون»؟
قلت: لأن الآية هنا نزلت في كفار نقض بعضهم العهد، وجحد بعضهم
الحق، ولم يجتمع هذان الأمران في غير هذه السورة.

٤٨ - قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ۖ﴾ .. ﴿١٠٢﴾ . أي من السحر،
فهو معطوف على السحر قبله وسوغ عليه تغايرهما لفظاً، والمكان أنزلهما
الله تعالى لتعليم السحر، ابتلاء منه للناس.

فإن قلت: هذا يدل على جواز تعليم السحر، فلا يكون حراماً؟
قلت: الحرام تعليمه ليعمل به، لا ليجتب فإنه جائز كما لو سئل إنسان
عن الزنا، لزمه بيانه للسائل ليعرفه فيجتبه.

٤٩ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ
مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .. ﴿١٠٢﴾ .

إن قلت: كيف أثبت لهم العلم أولاً مؤكداً بلام القسم، ونفاه عنهم آخرًا؟

قلت: المثبت لهم علمهم بأن من اختار السحر، ما له فى الآخرة من نصيب، والمنفى عنهم علمهم بحقيقة ما يصيرون إليه فيها.
أو المثبت لهم العلم مطلقاً والمنفى عنهم العقل لأنه أصل العلم فإذا انتفى انتفى.
٥٠ - قوله تعالى: ﴿لَمْثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ..﴾ (١٠٣) أى من السحر وهو خبر لمثوبة.

فإن قلت: «خير» افعل تفضيل ولا خير فى السحر؟
قلت: ليس «خير» هنا افعل تفضيل، بل هو لبيان أن المثوبة فاضلة كما فى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ؟﴾ كما يقال: الرجوع إلى الحق خير من التماذى فى الباطل أو هو افعل تفضيل، وخاطبهم الله على اعتقادهم أن تعلم السحر خير، نظراً منهم إلى حصول مقصودهم الدنيوى به.
٥١ - قوله تعالى: ﴿.. حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ..﴾ (١٠٩).

ذكر «من عند أنفسهم» تأكيداً إذ الحسد لا يكون إلا من قبل النفس.
٥٢ - قوله تعالى: ﴿.. قُلْ إِن هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ..﴾ (١٢٠) قال ذلك هنا، وقال فى آل عمران: ﴿قُلْ إِن الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ لأن معنى الهدى هنا «القبلة» لأن الآية نزلت فى تحويلها وتقديره: قل إن قبلة الله هى الكعبة. ومعناه ثم «الدين» لقوله تعالى قبل ﴿وَلَا تَوَّمَّنَا إِلَّا لِمَن تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

٥٣ - قوله تعالى: ﴿.. وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ..﴾ (١٢٠).
إن قلت: ما الحكمة فى ذكر «الذى» هنا، وذكر «ما» فى قوله بعد: ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ وفى الرعد ﴿بعدما جاءك من العلم﴾؟

قلت: المراد بالعلم فى الآية الأولى «العلم الكامل» وهو العلم بالله وصفاته، وبأن الهدى هدى الله فكان الأنسب ذكر «الذى» لكونه فى التعريف أبلغ من «ما».

والمراد بالعلم فى الثانية والثالثة «العلم بنوع» وهو فى الثانية العلم بأن قبلة الله هى الكعبة وفى الثانية الحكم العربى فكان الأنسب ذكر «ما» ولقلة النوع فى الثانية بالنسبة إليه فى الثالثة، زيد قبل «ما» فى الثانية «من» الدالة على التبعيض.

٥٤ - قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ١٢٢﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا.. ﴿١٢٣﴾ .

تكرار مع نظيره قيل مبالغة فى النصيح.

٥٥ - قوله تعالى: ﴿..أَنْ طَهَّرَآبَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ ١٢٥﴾ قاله هنا بلفظ «والعاكفين» وفى الحج بلفظ «والقائمين» والمراد منها المقيمون وغاير بينهما لفظاً، جرياً على عادة العرب من تفتنهم فى الكلام.

٥٦ - قوله تعالى: ﴿..رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ١٢٦﴾ .

فإن قلت: لم نكر البلد هنا وعرفه فى إبراهيم؟

قلت: لأن الدعوة هنا، كانت قبل جعل المكان بلدًا دائم الأمن فى الأول، وبلدًا آمنًا فى الثانى.

٥٧ - قوله تعالى: ﴿..وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ١٢٩﴾ . ذكره هنا وفى «الجمعة» بترك الأنفس إيجازاً وذكرها فى «آل عمران» فى قوله: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ لأن الله تعالى منّ على المؤمنين فيها، فجعله من أنفسهم ليكون موجب الجنة أظهر.

ونظيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ لما وصفه بقوله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ الآية جعله من أنفسهم ليكون موجب الإجابة والإيمان به أظهر.

٥٨ - قوله تعالى: ﴿..فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٣٢﴾ .

إن قلت: إن الموت ليس فى قدرة الإنسان حتى ينهى عنه؟

قلت: النهى فى الحقيقة إنما هو عن عدم إسلامهم حال موتهم، كقوله: لا تصل إلا وأنت خاشع إذ النهى فيه إنما هو عن ترك الخشوع حال صلاته، لا عن الصلاة.

والنكتة فى التعبير بذلك، إظهار أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه، وأن الصلاة التى لاختشوع فيها كـ «لا صلاة».

٥٩ - قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...﴾ (١٣٦).

إن قلت: لم قال هنا «قولوا» و«إلينا» وفى آل عمران «قل» و«علينا»؟ قلت: لأن «إلى» للانتهاء وهو لا يختص بجهة والكتب متهمية إلى المؤمنين بعد نزولها على الأنبياء والخطاب هنا للمؤمنين لقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ و«على» للاستعلاء وهو مختص بالأنبياء وأفضلهم نبينا وهو المخاطب ثم بقوله ﴿قل آمنا بالله﴾ فكان الأنسب هنا وثم ما ذكر. وكرر «وما أنزل» لاختلاف المنزل إلينا، والمنزل على إبراهيم وما عطف عليه.

٦٠ - قوله تعالى: ﴿..وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ...﴾ (١٣٦) ذكر «ما أوتى» هنا، وحذفه فى «آل عمران» اختصار كما هو الأنسب بالآخر. أو لأن الخطاب هنا عام، وثم خاص كما مر فكان الأنسب ذكره فى الأول وحذفه فى الثانى.

فإن قلت: لم قال هنا ﴿وما أوتى موسى﴾، ولم يقل «وما أنزل إلى موسى» كما قال قبل ﴿وما أنزل إلى إبراهيم﴾؟ قلت: للاحتراز عن كثرة التكرار.

فإن قلت: لم كرر «وما أوتى» هنا، وحذفه فى آل عمران؟ قلت: إنما حذفه ثم للاغتناء عنه بقوله قبله ﴿لما أتيتكم من كتاب وحكمة﴾.

٦١ - قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ...﴾ (١٣٧).

فإن قلت: أن أريد بـ «ما آمنتم به» الله تعالى، فالله لا مثل له أو دين الإسلام فكذلك؟

قلت: القصد بالآية إنما هو التعجيز كما فى قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ أو كلمة «مثل» زائدة للتوكيد كما فى قوله: ﴿جَزَاءٌ سِئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ أو

٥٩ - البرهان ٢٧ والنوى ٤٥ .

٦٠ - البرهان ٢٧ ، وفتاوى النوى ٤٥ .

الباء زائدة كما فى قوله ﴿وهزى إليك بجذع النخلة﴾ و«ما» مصدرية والمعنى بمثل إيمان من آمنتم به وهو الله أو دين الإسلام.

٦٢ - قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ..﴾ (١٤١) .

ذكرها مع أن مضمونها معلوم لكل مميز للتنبيه على عظم العصيان واجتنابه، كما أن قوله ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ ذكر مع أنه معلوم، للتنبيه على أن الكفر مما يعود بسوء العاقبة عليهم، وكررها مبالغة فى النصح، أو لأن «الأمة» فى الأولى للأنبياء، وفى الثانية لأسلاف اليهود والنصارى. أو لأن الخطاب فى الأولى لهم، وفى الثانية لنا تحذيراً عن الاقتداء بهم.

٦٣ - قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا..﴾ (١٤٣) ؟.

إن قلت: كيف قال ﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول﴾ وهو لم يزل عالماً بذلك؟

قلت: هذا ونحوه باعتبار التعلق والمعنى: ليتعلق علمنا به موجوداً، أو المعنى: ليعلم رسولنا والمؤمنون لأنهم أخصاؤه. أو لتمييز الثابت عن المتزلزل، كقوله: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾.

٦٤ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ..﴾ (١٤٣) .

«كان» للماضى وهو هنا للحال، وتأتى فى القرآن خمسة معان:

أ - للحال ومنه ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ و﴿كان الله بما يعملون بصيراً﴾.

ب - وللماضى المنقطع ومنه ﴿وكان فى المدينة تسعة رهط﴾ وهو الأصل فى معانيها.

ج - وللاستقبال ومنه ﴿يخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾.

د - وللدوام ومنه ﴿كان الله عليهما حكيماً﴾.

هـ - وبمعنى صار ومنه ﴿كان من الكافرين﴾.

٦٥ - قوله تعالى: ﴿..فَلتَوَلَّيْكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ﴾ (١٤٤).

فإن قلت: هذا يقتضى عدم رضا النبي ﷺ بالتوجه إلى بيت المقدس مع أن التوجه إليه كان بأمر الله؟

قلت: المراد بالرضا هنا رضا المحبة بالطبع، لا رضا التسليم والانقياد لأمر الله.

٦٦ - قوله تعالى: ﴿..فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (١٤٤) كرر ثلاث مرات، لأن الأول فى المسجد الحرام، والثانى خارجه، والثالث خارج البلد، وعليها ينزل قوله قبل كل منها، ﴿ومن حيث خرجت﴾.

٦٧ - قوله تعالى: ﴿..وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ (١٤٥) أى اليهود والنصارى، ولكل منهما قبله، لكن لما كانت القبلتان باطلتين، كانتا فى حكم البطلان واحدة، فلهذا قال «قبلتهم».

٦٨ - قوله تعالى: ﴿..فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (١٤٧) قال فى الأنعام مثله ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ وفى آل عمران ﴿فلا تكن من الممترين﴾ بغير نون التوكيد. لأن ما فى «آل عمران» جاء على الأصل ولم يكن فيها ما اقتضى ادخال نون التوكيد. بخلاف ما هنا، فإن قبله التوكيد بأن فى قوله ﴿انه الحق من ربهم﴾.

وفى الأنعام ﴿يعلمون أنه منزل من رب الحق﴾ فناسب التوكيد فيهما بالنون.

٦٩ - قوله تعالى: ﴿..لِيَأْخُذَ اللَّهُ حِجَّةً مِنْكُمْ﴾ (١٥٠) منهم.

إن قلت: كيف يكون للظالمين من اليهود حجة على المؤمنين؟

قلت: حجتهم قولهم: ما تحول محمد عن الكعبة إلا أنه بدا له الرجوع إلى قبله آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم. وهذا باطل وإنما سمي حجة كقوله «حجتهم داحضة» لشبهه لها صورة، فالمعنى إلا أن يقولوا ظلماً وباطلاً كقولك لرجل: ما لك عندى حق إلا أن تظلم أى إلا أن تقول الباطل.

٧٠ - قوله تعالى: ﴿..وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ..﴾ (١٥٠) عطف على قوله ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾.

٧١ - قوله تعالى: ﴿..وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢).

إن قلت: ما فائدة ذكر الثانى مع أن الأول يقتضيه؟

قلت: لا نسلم أنه يقتضيه لأن المراد بالكفر ستر النعمة والشكر لا يقتضى عدمه.

٧٢ - قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا..﴾ (١٦٠) ترك «من بعد ذلك» هنا وذكره فى «آل عمران» لأنه لو ذكره هنا مع قوله قبله ﴿من بعد ما بيناه للناس﴾ لالتبس أو لتكرر.

٧٣ - قوله تعالى: ﴿..أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦١).
إن قلت: كيف قال: «والناس أجمعين» وأهل دين من مات كافراً لا يلعنونه؟

قلت: المراد بالناس المؤمنون، أو هم وغيرهم. وأهل دينه يلعنونه فى الآخرة، قال تعالى: ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً..﴾ وقال ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾.

٧٤ - قوله تعالى: ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ..﴾ (١٦٣).

إن قلت: ما فائدة ذكر «إله» مع أن «واحد» يغنى عنه؟

قلت: فائدته التصريح بالإلهية المقصودة وإن تضمنه قوله «واحد» كما تضمن انفراده بالقدم وبصفات ذاته وبعدم التركيب.

٧٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ (١٦٤) خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات وجمع السماء دون الأرض، للانتفاع بجميع أحادها باعتبار ما فيها من نور كواكبها وغيره، بخلاف الأرض إنما ينتفع بواحدة من أحادها وهى ما نشاهدها منها.

٧٢ - انظر البرهان ٢٩ والنووى.

٧٦ - قوله تعالى: ﴿..بَلْ تَتَّبِعْ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا..﴾ (١٧٠) عبر هنا بـ «ما الفينا» وفي «المائدة» وفي «لقمان» بـ ﴿ما وجدنا﴾ ن «ألفى» يتعدى إلى مفعولين دائماً، و«وجد» يتعدى إليهما تارة، وإلى واحد أخرى كقولك: وجدت الضالة فهو مشترك وألفى خاص، فكان الموضع أول أنسب به.

٧٧ - قوله تعالى: ﴿..أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ..﴾ (١٧٠) .

إن قلت: لم قال هنا «لا يعقلون» وفي «المائدة» «لا يعلمون»؟

قلت: ن العلم أبلغ درجة من العقل، بدليل وصف الله به دون العقل، ودعواهم ثم أبلغ من ههنا، لقولهم ثم ﴿حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ وههنا ﴿بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ فكان الأنسب نفى كل بما يناسبه.

٧٨ - قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ (١٧١) ظاهره تشبيه الكفار بالراعى وليس مراداً. فإن قلت: فما وجهه؟

قلت: فيه إضمار تقديره: ومثل واعظ الذين كفروا كمثل الراعى. أو للأنعام: أو ومثل الذين كفروا كمثل بهائم الراعى. أو مثل الذين كفروا فى دعائهم الأصنام كمثل الراعى.

٧٩ - قوله تعالى: ﴿..وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ..﴾ (١٧٢) قدم «به» هنا وأخبره فى المائدة والأنعام والنحل؛ ن الباء للتعدية كالهزمة والتشديد فهى كالجاء من الفعل؛ فكان الموضع الأول أولى بها ويدخلوها. وآخر فى بقية المواضع نظراً للمقصود فيها من ذكر المستكر وهو الذبح لغير الله، والحرص بـ «إنما» فى المحرمات هنا متروك الظاهر، لما زاد فى المائدة من «المنخقة» والموقودة والمتردة والنطيحة وما أكل السبع.

٨٠ - قوله تعالى: ﴿..فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ..﴾ (١٧٣) ذكره هنا، وتركه فى المواضع الثلاثة المذكورة آنفاً اقتصاراً كما هو الأنسب بالآخر.

٧٧ - البرهان مسألة رقم ٣١ .

٧٩ - البرهان ٣٣ والنوى ٤٩ .

٨١ - قوله تعالى: ﴿..إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٧٣) قاله هنا، وقال في الأنعام ﴿فَإِنْ رَبُّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لأن لفظ الرب تكرر ثم مرات، مع ذكر ما يحتاج إلى التريية من الثمار، والحبوب والحيوان من «الضأن والمعز والإبل والبقر» في قوله ﴿وهو الذى أنشأ جنات﴾ الخ فكان ذكر الرب ثم أنسب.

٨٢ - قوله تعالى: ﴿..وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..﴾ (١٧٤).

إن قلت: كيف نفى عنهم الكلام هنا وأثبت لهم في قوله ﴿فوربك لنسألنهم؟﴾ قلت: المنفى هنا الكلام بلطف وإكرام، والمثبت ثم سؤال توبيخ وإهانة، أو في القيامة مواقف: ففي موقف لا يكلمهم وفي موقف يكلمهم. ومن ذلك آية النفى المذكورة، مع قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾.

٨٣ - قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَدْنَى وَالْأَقْرَبِينَ..﴾ (١٨٠) فيه عطف الخاص على العام، ونسخ ما كانوا يفعلونه من الوصية للأبعد دون الأقرب طلباً للفرح والشرف.

٨٤ - قوله تعالى: ﴿..إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٨١).

إن قلت: لم خص المميع بالذكر هنا، والغفران فيما بعده؟

قلت: لقوله هنا، «بعد ما سمعته» وثم «فلا إثم عليه».

٨٥ - قوله تعالى: ﴿..كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ..﴾ (١٨٣) التشبيه في أصل الصوم لا في كيفيته إذ الإفطار منه كان مباحاً من الغروب إلى وقت النوم فقط، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾.

٨٦ - قوله تعالى: ﴿..فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ..﴾ (١٨٤).

٨٢ - البرهان ٣٦ والنوى ٥١ .

٨٤ - البرهان ٣٧ .

٨٦ - البرهان ٣٨ .

قيد بـ «منكم» هنا، وفى قوله ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾ وتركه فى قوله ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر﴾ اكتفاء بقوله قبله ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

فإن قلت: ما فائدة ذكر إعادة المريض والمسافر بعد؟

قلت: رفع توهم نسخ التخيير بين الصوم والفدية بعموم قوله ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ أو أن آيتها الأولى نزلت فى تخييرهما بين الصوم والفدية والثانية فى تخييرهما بين الصوم والإفطار والقضاء.

٨٧ - قوله تعالى: ﴿..مَنِ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ..﴾ (١٨٥) ﴿صفة لهدى وبينات قبله، ومتعلق بمحذوف أى كون القرآن هدى وبينات من جملة هدى الله وبيناته لكن عبر عن البينات بالفرقان لأن فيه زيادة معنى لازم للبينات وهو كونه يفرق بين الحق والباطل، ولأن فى لفظ الفرقان تواخى الفواصل.

٨٨ - قوله تعالى: ﴿..أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ..﴾ (١٨٦) ﴿.

إن قلت: نجد كثيراً من الداعين لا يستجاب لهم؟

قلت: إنما لم يستجب لهم لانتفاء شرط الإجابة، إذ شرطها طاعة الله، وأكل الحلال، وحضور القلب أو لأن الداعى قد يعتقد مصلحته فى إجابة دعوته، والله يعلم أن المصلحة فى تأخيرها. أو يعطيه بدلها فقد روى الحاكم خبر «ما من مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها، أو ادخر له من الأجر مثلها، ما لم يدع بإثم».

٨٩ - قوله تعالى: ﴿..تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا..﴾ (١٨٧) ﴿.

إن قلت: لم قال هنا ﴿فلا تقربوها﴾ وقال فى التى بعدها ﴿فلا تعتدوها﴾؟ «البقرة: ٢٢٩».

قلت: لأن الحد هنا نهى وهو قوله ﴿ولا تباشروهن﴾ وما كان من الحدود نهياً نهى فيه عن المقاربة. والحد فيما يعد أمر وهو بيان عدد الطلاق بقوله «الطلاق مرتان» الآية، وما كان أمراً نهى عنه عن الاعتداء وهو مجاوزة الحد.

٩٠ - قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾ (١٨٩).

كل ما جاء من السؤال فى القرآن أجيب عنه بـ «قل» بلاغاً إلا فى قوله فى «طه» ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ...﴾ الآية فبالفاء لأن الجواب فى الجميع كان بعد وقوع السؤال. وفى طه قبله إذ تقديره: إن سئلت عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً.

٩١ - قوله تعالى: ﴿..وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ..﴾ (١٩٣).

ترك «كله» هنا وذكره فى الأنفال لأن القتال هنا مع أهل ملة فقط، وثم مع جميع الكفار، فناسب ذكره ثم.

٩٢ - قوله تعالى: ﴿..تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ..﴾ (١٩٦).

إن قلت: ما فائدة ذكره بعد الثلاثة والسبعة وذكر «كاملة» بعد قوله (تلك عشرة)؟

قلت: فائدة الأول دفع تصحيف سبعة بـ «تسعة» وتأکید العلم بالعدد تفصيلاً وإجمالاً.

وفائدة الثانى التأكيد كما فى «حولين كاملين». أو معناه كاملة فى الثواب مع كونها متفرقة. أو واقعة بدلاً عن الهدى.

٩٣ - قوله تعالى: ﴿..فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ..﴾ (١٩٨).

إن قلت: ما فائدة تكرار الذكر؟

قلت: فائدته التنبيه على إرادة الذكر، وزيادة فائدة أخرى فى الثانى وهى «كما هداكم» بمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدائيه أو الإشارة بالأول إلى الذكر باللفظ، وبالثانى إلى الذكر بالقلب.

٩٤ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ..﴾ (١٩٩).

٩١ - فى البرهان : «ملة» بدلاً من «مكة» مسألة ٤١ .

إن قلت: كيف عطف الإفاضة مع أنها الإفاضة من عرفات؟
قلت: ثم للترتيب الإخبارى لا الزمانى. أو المراد بالإفاضة الثانية،
الإفاضة من مزدلفة إلى منى لا من عرفات.

٩٥ - قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ...﴾ (٢٠٣).

إن قلت: ما فائدة قوله فيها ﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ مع أنه معلوم
بالأولى مما قبله؟

قلت: فائدته رفع ما كان عليه الجاهلية من أن بعضهم قائل بإثم
المتعجل، وبعضهم بإثم التأخر. أو المعنى: لا إثم على المتأخر فى ترك الأخذ
بالرخصة، مع أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه.
فإن قلت: التعجيل فى اليوم الثانى لا فيه وفى اليوم الأول فكيف قال
«فى يومين»؟

قلت: المعنى فى مجموع اليومين الصادق بأحدهما وهو الثانى كما فى قوله
تعالى: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» وهما لا يخرجان إلا من الملح لا من العذب.
٩٦ - قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلِكُمْ...﴾ (٢١٤).

قال ذلك هنا، وقال فى آل عمران ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ
اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ الآية.

وفى التوبة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾
الآية. غاير بما ذكر فى الثالثة لأن الخطاب فى الأولى للنبي والمؤمنين وفى
الثانية للمجاهدين، وفى الثالثة للمؤمنين.

٩٧ - قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ...﴾ (٢١٥).

إن قلت: كيف طابق الجواب السؤال لأنهم سألوا عن المنفق، فأجيبوا
ببيان المصروف؟

قلت: بل طابقه بقوله «من خير» وزاد عليه بيان المصرف بما بعده، فالجواب أعم ونظيره قوله ﷺ وقد سئل عن الوضوء بماء البحر: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته».

٩٨ - قوله تعالى: ﴿.. لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١٩) في الدنيا والآخرة.. ﴿٢٢٠﴾.

ذكر «فى الدنيا والآخرة» هنا وتركه فى آخر السورة وفى الأنعام اختصاراً للعلم به مما هنا.

٩٩ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ (٢٢١).

بفتح التاء هنا، وبضمها فى قوله ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾. لأن الأول من «نكح» وهو يتعدى إلى مفعول واحد، والثانى من «أنكح» وهو يتعدى إلى اثنين، الأول فى الآية «المشركين» والثانى محذوف وهو «المؤمنات».

١٠٠ - قوله تعالى: ﴿.. وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ (٢٢١).

هو هنا بالتخفيف من «أمسك» وفى الممتحنة بالتخفيف والتشديد، لمناسبة تخفف لما هنا ما قبله من قوله ﴿فَامْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ وقوله ﴿فَامْسِكُوهُنَّ﴾.

ومناسبة تخفيف وتشديد ما هناك ما قبله من قوله ﴿لَمْ يُخْرِجُوكُمْ﴾ وقوله ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾ وخفف فى الطلاق قوله ﴿فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ لمناسبة تخفيفه ما قبله من قوله ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بَيْوتِهِنَّ﴾.

١٠١ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٧).

فإن قلت: عزمهم الطلاق مما يعلم لا مما يسمع فكيف قال «إن الله سميع»؟ قلت: العازم على الشئ يحدث به نفسه وحديث النفس مما يسمعه الله ووسوسة الشيطان مع أن الغالب فى عزم الطلاق المقابلة مع الزوجة.

١٠٢ - قوله تعالى: ﴿.. وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ (٢٢٨).

افعل ههنا بمعنى فاعل.

١٠٣ - قوله تعالى: ﴿.. ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ..﴾ (٢٣٢).

قال «ذلك» هنا، وقال فى الطلاق ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن﴾ لما
كانت كاف «ذلك» لمجرد الخطاب لا محل لها من الإعراب جاز الاختصار
على الواحد كما هنا، وكما فى قوله تعالى: ﴿ثم عفونا عنكم من بعد ذلك﴾
وجاز الجمع نظراً للمخاطبين كما فى الطلاق.

فإن قلت: لم ذكر «منكم» هنا، وترك ثم؟

قلت: لترك ذكر المخاطبين هنا فى قوله ذلك، واكتفى بذكرهم ثم فيه.

١٠٤ - قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالْمَعْرُوفِ..﴾ (٢٣٤).

قال فى هذه الآية «بالمعروف» وقال فى الآية الأخرى «من معروف» لأن
التقدير فى هذه: فيما فعلنا فى أنفسنا بأمر الله المعروف من الشرع.

وفى تلك: فيما فعلنا فى أنفسنا من فعل من أفعالهن معروف جوازه
شرعاً.

١٠٥ - قوله تعالى: ﴿.. فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ..﴾ (٢٤٣).

إن قلت: هذا يقتضى موتهم مرتين وهو مناف للمعروف أن موت الخلق
مرة واحدة؟

قلت: لا منافاة إذ الموت هنا عقوبة مع بقاء الأجل، كما فى قوله تعالى
فى قصة موسى ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾.

وثم موت بانتهاء الأجل، ولأن الموت هنا خاص بقوم، وثم عام فى
الخلق كلهم، فيكون ما هنا مستثنى إظهاراً للمعجزة.

١٠٦ - قوله تعالى: ﴿.. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ..﴾ (٢٤٢).

إنما ذكر لفظ الناس هنا وفى «يوسف» و«المؤمنين» وتركه فى «يونس» و«النمل».

لأن ما فى الثلاثة الأولى، لم يتقدمه كثرة تكرار لفظ «الناس» فناسب الإظهار، وما فى «يونس» تقدمه ذلك فناسب الإضمار لثلا تزيد كثرة التكرار، وما فى «النمل» تقدمه إضمار الموحى إليه ومخاطبته فناسب الإضمار، وبعضهم أجاب بما فيه نظر فتركه.

١٠٧ - قوله تعالى: ﴿.. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ..﴾ (٢٥٣) .
كرره بقوله: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ تأكيداً وتكذيباً لمن زعم أن ذلك لم يكن بمشيئة الله.

١٠٨ - قوله تعالى: ﴿.. مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٍ وَلَا شَفَاعَةٍ ..﴾ (٢٥٤) .

أى بغير إذن الله لقوله تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾؟
وقوله: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾.

أو لا شفاعاة من الأصنام والكواكب التى يعتقدوها الكفار.

١٠٩ - قوله تعالى: ﴿.. وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٥٥) ﴿حصر الظلم فى الكافرين، لأن ظلمهم أشد، فهو حصر إضافى كما فى قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

١١٠ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..﴾ (٢٥٦) ؟ عبر فيها بالمضارع لا بالماضى مع أن الإخراج قد وجد .
لمناسبة التعبير به قبله فى قوله: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾ ولأن المضارع يدل على الاستمرار، فيدل هنا على استمرار ما ضمته الإخراج من الله تعالى فى الزمن المستقبل فى حق من ذكر.

فإن قلت: كيف يخرج الكفار من النور، مع أنهم لم يكونوا فى نور؟
قلت: لمقابلة ما ذكر قبله فى المؤمنين ولأن الكفار هنا هم «اليهود» وقد كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ لما يجدونه من نعمته فى كتبهم فلما بعث كفروا به.

١١١ - قوله تعالى: ﴿.. قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ ..﴾ (٢٦٠) أى بقدرتى على الإحياء، قال له ذلك مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيب بما أجاب فيعلم السامعون غرضه من طلبه لإحياء الموتى.

١١٢ - قوله تعالى: ﴿.. وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ..﴾ (٢٦٠).

قاله مع أن قلبه مطمئن بقدره الله تعالى على الإحياء، ليطمئن قلبه بعلم ذلك عياناً كما اطمأن به برهاناً. أو ليطمئن بأنه اتخذه خليلاً، أو بأنه مستجاب الدعوة.

١١٣ - قوله تعالى: ﴿.. قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ..﴾ (٢٦١).

خص الطير بالذكر من سائر الحيوان لزيادته عليه بطيرانه.

قيل: وكانت الأربعة: ديكاً وطاووساً ونسراً وغراباً.

وفائدة التقييد بالأربعة فى الطير وفى الأجل بعده، الجمع بين الطبائع الأربع فى الطير بين مهاب الرياح من الجهات الأربع فى الأجل.

١١٤ - قوله تعالى: ﴿.. ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ..﴾ (٢٦٢).

إن قلت: كيف مدح المنفقين بترك المن، وقد وصف نفسه بالمن، كما فى قوله تعالى ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾؟

قلت: المن يقال للإعطاء وللاعتداد بالنعمة واستعظامها. والمراد فى الآية المعنى الثانى.

فإن قلت: من المعنى الثانى ﴿بل الله يمين عليكم أن هداكم للإيمان﴾.

قلت: ذلك اعتداد نعمة الإيمان فلا يكون قبيحاً، بخلاف نعمة المال. على أنه يجوز أن يكون من صفات الله تعالى، ما هو مدح فى حقه، ذم فى حق العبد، كالجبار والمتكبر والمنتقم.

١١٥ - قوله تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ

وَأَعْنَابٍ ..﴾ (٢٦٣).

فإن قلت: لم خص النخيل والأعناب بالذكر، مع قوله بعد ﴿له فيها من كل الثمرات﴾؟

قلت: لأن النخيل والأعناب أكرم الشجر، وأكثرها منافع.

١١٦ - قوله تعالى: ﴿.. وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ..﴾ (٢٧١).

ذكر «من» هنا خاصة موافقة لما بعدها في ثلاث آيات، ولأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات.

١١٧ - قوله تعالى: ﴿.. لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ..﴾ (٢٧٣).

فإن قلت: هذا يفهم أنهم كانوا يسألون برفق مع أنه قال: ﴿يحبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾؟

قلت: المراد نفى المقيد والقيد جميعا كما في قوله تعالى: ﴿لا ذلول تثير الأرض﴾ وقوله ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾.

١١٨ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ..﴾ (٢٧٥).

خص الأكل بالذكر مع أن غيره كاللبس والادخار والهبة كذلك لأنه أكثر وأهم انتفاعاً بالمال إذ لا بد منه. أو أريد بالأكل الانتفاع كما يقال: فلان أكل ماله، إذ انتفع به في الأكل وغيره.

١١٩ - قوله تعالى: ﴿.. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ..﴾ (٢٧٥).

فإن قلت: كيف قالوا ذلك مع أن مقصودهم تشبيه الربا بالبيع المتفق على حله؟

قلت: جاء ذلك على طريق المبالغة، لأنه أبلغ من اعتقادهم أن الربا حلال كالبيع، كالتشبيه في قولهم: القمر وجه زيد، والبحر ككفه، إذا أرادوا المبالغة.

أو أن مقصودهم أن البيع والربا يتماثلان من جميع الوجوه فساغ قياس البيع على الربا كعكسه.

١٢٠ - قوله تعالى: ﴿.. وَمَنْ عَادَ فَأَوْثَقْنَا أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥).

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن مرتكب الكبيرة كأكل الربا لا يخلد في النار؟

قلت: الخلود يقال لطول البقاء، وإن لم يكن بصيغة التأيد، كما يقال: خلد الأمير فلاناً في الجبس إذا أطال حبه.

أو المراد بقوله «ومن عاد» العائد إلى استحلال أكل الربا، وهو بذلك كافر، والكافر مخلد في النار على التأيد.

١٢١ - قوله تعالى: ﴿.. وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨٠).
«خير لكم» أى من إنظار المعسر.

فإن قلت: إنظار المعسر واجب، والتصدق عليه تطوع فكيف يكون خيراً من الواجب؟

قلت: التطوع المحصل للواجب لما اشتمل عليه من الزيادة كما هنا أفضل من الواجب كما أن الزهد في الحرام واجب، وفي الحلال تطوع، والزهد في الحلال أفضل.

١٢٢ - قوله تعالى: ﴿.. ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١).

قال فيه وفي (الجاهلية: ٢٢) بـ «ما كسبت» وقال في آخر النحل ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ وفي آخر (الزمر: ٧٠) ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾. موافقة لما قبل كل منها أو بعده أو قبله وبعده إذ ما هنا قبله ﴿انفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ وبعدها ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ وقبله في آخر النحل ﴿من عمل صالحاً.. ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

وبعده ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء﴾ وقبل ما في الجاهلية ﴿ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً﴾. وبعدها في الزمر ﴿فنعم أجر العاملين﴾.

١٢٣ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ..﴾ (٢٨٢).

فإن قلت: ما فائدة قوله (بدين) مع أنه معلوم من (تداينتم).

قلت: فائدته الاحتراز عن «الدين» بمعنى المجازاة يقال: داينت فلاناً بالمودة أى جازيته بها وهو بهذا المعنى لا كتابة فيه ولا اشهاد.

وقيل: فائدته رجوع الضمير إليه فى قوله «فاكتبوه» إذ لو لم يذكره لقال: فاكتبوا الذين والأول أحسن نظماً.

١٢٤ - قوله تعالى: ﴿..أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى..﴾ (٢٨٢).

قرىء «تذكر» بالتخفيف والتشديد.

فإن قلت: كيف جعل «أن تضل» علة لاستشهاد المرأتين بدل رجل، مع أن علته إنما هو التذكير.

قلت: بل علته «أن تضل» لأن الضلال من إحداهما يكثر وقوعه فصلح أن يكون علة لاستشادهما ويتقدير عدم صلوحه فالتعليل «بأن تضل» فى الحقيقة إنما هو للتذكير ومن شأن العرب إذا كانت للعلة علة قدموا ذكر علة العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء لتحصل الدالتان معاً بعبارة واحدة، كقولك: أعددت الخشبة أن يميل الجدار فأدعته بها، فالإدعام علة فى إعداد الخشبة، والميل علة الإدعام.

١٢٥ - قوله تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ.. (٢٨٣).

فإن قلت: كيف شرط السفر فى الارتهان مع أنه ليس بشرط فيه؟

قلت: لم يذكره لتخصيص الحكم به، بل لكونه مظنة عوز الكاتب، والشاهد، الموثوق بهما.

١٢٦ - قوله تعالى: ﴿..وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ

قَلْبُهُ..﴾ (٢٨٣).

فإن قلت: ما فائدة ذكر القلب، مع أن الجملة موصوفة بالإثم؟

قلت: لما كان كتمان الشهادة هو إضرارها في القلب، وإثمه مكتسباً بالقلب وبه، أسند الإثم إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ كما يقال: هذا مما أبصرته عيناي وسمعت أذناي وعلمه قلبي.

١٢٧ - قوله تعالى: ﴿.. وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ..﴾ (٢٨٤).

إن قلت: كيف قال في الإخفاء «يحاسبكم به الله» مع أن حديث النفس لا إثم فيه، للحديث المشهور فيه، ولأنه لا يمكن الاحتراز منه؟ قلت: ذلك منسوخ بقوله ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾. أو المراد بالإخفاء: العزم القاطع والاعتقاد الجازم.

أو ذلك إخباراً بالمحاسبة لا بالمعاقبة فهو تعالى يخبر العباد بما أخفوا وأظهروا ليعلموا إحاطة علمه، ثم يغفر أو يعذب فضلاً وعدلاً.

١٢٨ - قوله تعالى: ﴿.. فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ..﴾ (٢٨٤).

قدم المغفرة في هذه السورة وغيرها إلا في «المائدة» فقدم العذاب (المائدة: ٤٠) لأنها في المائدة نزلت في حق السارق والسارقة وعذابهما يقع في الدنيا فقدم العذاب، وفي غيرها قدمت المغفرة رحمة منه للعباد، وترغيباً لهم إلى المسارعة إلى موجباتها.

١٢٩ - قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ..﴾ (٢٨٥).

إن قلت: أي فائدة في هذا الاخبار مع أن الأنبياء في أعلى درجات الإيمان؟

قلت: فائدته أن يبين للمؤمنين زيادة شرف الإيمان، حيث مدح به خواصه ورسله، ونظيره في «الصفات» أنه ذكر في نبي ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾.

١٣٠ - قوله تعالى: ﴿.. لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ..﴾ (٢٨٥).

فإن قلت: كيف قال ذلك مع أن «بين» لا تضاف إلا إلى اثنين فأكثر؟

قلت: «أحد» هنا بمعنى الجمع الذى هو «أحاد» كما فى قوله تعالى ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ فكأنه قال: لا نفرق بين أحاد من رسله.

١٣١ - قوله تعالى: ﴿..لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ..﴾ (٢٨٦).

«لها ما كسبت» أى فى الخير «وعليها ما اكتسبت» أى فى الشر.

فإن قلت: ما الدليل على أن الأول فى الخير، والثانى فى الشر.

قلت: «اللام» فى الأول و«على» فى الثانى، لأنهما يتعملان فى ذلك عند تقارنهما، كما فى هذه الآية، وكما فى قوله ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾.

وقولهم: الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك.

وقول الشاعر:

على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا على ولا ليا

فإن قلت: لم خص الكسب بالخير، والاكتساب بالشر؟

قلت: لأن الاكتساب فيه أعمال والشر تشتهيه النفس، وتنجذب فكانت أجدر فى تحصيله بخلاف الخير، ولأن فى ذلك إشارة إلى إكرامه تعالى وتفضله على الخلق حيث أثابهم على فعل الخير من غير جد واعتماد، ولم يؤاخذهم على فعل الشر إلا بالجد والاعتماد.

« نمت سورة البقرة »
